في ظل الحرم

د. غازي طليمات - سورية

ضلوعيَ تَطوي، والجفون تُذيعُ ... فأيَ فريق في هواي أُطيعُ؟
إذا أمَرَ الوجدُ المدامعَ حدّثتْ ... بسرِ الجوى، فالخافيات تشيعُ
وإن طاف بي طيف من البيت خلتني ... يحلق بي حول المطاف نزوعُ
تهجّدتُ في أبهى المساجد، واعترى ... فؤادي خضوع قانتٌ وخشوعُ
قصدت إلى الأقصى، وصافحت صخرةً ... لها من ضياء الأنبياء نصوعُ
وعانقتُ في حضن المدينة روضةً ... بها ضَوْع أتقى الأتقياء يضوعُ
ونوّرتُ أجفاني بمثوى محمد ... وكحّلتُ منه الطرف وهْو وجيعُ
ولكنني لم ألقَ كالبيت مأمنا ... به كل شيء خاشع وبديعُ
يضيّعني همّي إذا ما نزلْته ... وقد كنت في دنيا الهموم أضيعُ
وأنسى ذوي الأقربين كنعجة ... ترحل عنها في الفلاة قطيعُ
وأطّرح الخمسين والخَمْس دونه ... كأنيَ مذ زرت الحجونَ رضيعُ
فلا أنا فيما يطمع الناس طامع ... ولا أنا مما يجزعون جزوعُ

أَ بُـدِّلْـتُ قلباً غير قلبيَ أم خَبا ... من المغريات المغويات سطوعُ؟
فـزمـزم تـرويـني إذا لَـفَـحَ الظما ... وأمـضـغ ذكـر الله حـين أجـوعُ
وأخلع طين الأرض إن طفتُ سبعةً ... لـتُـقلِعَ بـي نـحـو الـسـمـاء قُـلُـوعُ
فأشْرِعتي بالشوق تجري طليقةً ... وفُلْكي إلى السبع الطِّباق سريعُ
وبوْصلَتي قلبٌ إلى الله قاصد ... إذا ضعت لم يصعب عليَ رجوعُ
وكيف يضيع القلب في الموئل الذي ... بـه يـهـتـدي سـار، ويـأمـن روعُ؟
تبصَرْ تجدْ شُمَّ الجبال يَحُطْنَه ... حـوانيَ، فهْو القلب، وهْي ضلوعُ
وما بين أطـواد نهضن، وأرؤسٍ ... خُـفـضْـنَ ألـوفُ الـعـاكـفين ركـوعُ
تراهم سجوداً، والبياض لباسهم ... كـأنـهـمُ طـيـر هـنـاك وقـوعُ
خِفافٌ نِظافٌ، إنْ سعَوا قلتَ: غزلةٌ ... شـوادنُ، أمـضـى سـعـيـهـنَ وديـعُ
فألوانهم شتى، وشتى لغاتهم ... ولـكـنـهـم خـلـف الإمـام جـمـيـعُ
فيا قاصدا مثوى النبي، ومسجدا ... تـسـيـر إلـيـه كـالـسـيـول جـمـوعُ
دع المرمر المجلوب من كل بقعة ... فـأكـرم مـنـه حَـرَّة وبـقـيـعُ
وألصق شغاف القلب بالبيت ضارعا ... فـلـيـس لـه في الخافقين ضـريـعُ
حجارته من جسم مكة أعظم ... وطـيـنـتـه في نـقـيـهـن نـقـيـعُ
وسمرته العرباء من جلد أمتي ... ومـن شـمـسـهـا مجـد أغـر رفـيـع
فلا تنصرف عيناك عنه لشهوة ... وقـاح، ودنـيـا تـشـتـري وتـبـيـعُ